

# من أخلاق الدين:

## الإحسان إلى الحيوان والرفق به

### أليس مزاحم

ابيضت وجوه فرحاً.. واسودت وجوه حزناً.. هو ذا الديك الأحمر يتغلب على الأسود في صراع دموي التذ بمشاهدة أعداد غفيرة من المشاهدين!!  
وفي المقلب الآخر، صاح الجمهور نشوان.. إذ انقض المصارع على الثور المنهك بقواعد اللعبة، والمنخن بالجراح!! وهناك رجل يشبع دابته ضرباً لأنها تعثرت فوقعت بأحمالها الثقيلة!!  
وهنا هرة مربوطة على جذع شجرة يقذفها الصبيان بالحجارة والحصى، فتموء مستغيثة، ولا حياة لمن تنادي!!

صور شتى من صور تعذيب الحيوانات، وهي نماذج لا تحصى لتمادي الإنسان في ظلم مخلوق ضعيف. ففي شرقي الأرض وغربيها، يتعرض كثير من الحيوانات لسوء المعاملة، ويتصرف بها مالكوها وكأنها مخلوقات جامدة لا روح فيها، علماً أن كل الأديان السماوية نبّهت إلى ضرورة احترام الكائنات الحية، وسنّت قوانين بما يختص بذبح الحيوان للانتفاع به، وأوردت الكثير من الوصايا والمواظب بخصوص الرفق بالحيوانات؛ فعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: "كان رجل ناسك يعبد الله في بني إسرائيل، فبينما هو يصلي وهو في عبادته، إذ بصر بـغلامين صبيين قد أخذوا ديكاً وهما ينتفان ريشه فأقبل على ما فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك"، وذكر الإمام (ع) في روايته أن هذا الرجل الناسك استحق غضب الله وعقابه الشديدين.

فالحيوانات خلقها الله تعالى لحكم كثيرة، وينتفع بها الإنسان لحاجات متعددة، وفق ما حدّده القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهي تحيا وتموت وفق أنظمة وسنن، وجب على الإنسان احترامها والمحافظة عليها، والرفق بها، وعدم الإسراف والمغالاة عند الانتفاع بها. جاء في الحديث أن عيسى بن مريم (ع) لما مرّ على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في الماء، فقال له بعض الحواريين: يا روح الله وكلمته، لم فعلت هذا وإنما هو (شيء) من قوتك؟ فقال: "فعلت هذا، الدابة تأكله من دواب الماء، وثوابه عند الله عظيم".

وفي الإسلام أحاديث كثيرة لرسول الله (ص) ولأهل بيته الأطهار (ع) في الرفق بالحيوانات والإحسان إليها، وعدم التحريش بينها أو التمثيل بها أو غير ذلك. روي أن رسول الله (ص) مرّ على قوم نصبوا دجاجة حية، وهم يرمونها بالنبل، فقال: "من هؤلاء؟! لعنهم الله".

وقال (ص): "لعن الله من مثل بالحيوان"، كما نهى (ص) عن التحريش بين البهائم، ومما يؤسف له أن هذه العادة ما زالت سائدة في مناطق إسلامية وغير إسلامية. فالحيوانات وإن ملكها الإنسان، فإن لها عليه حقوقاً، فلا يحق له ظلمها ومعاملتها بدون رحمة أو تكليفها فوق طاقتها، فإنها على حد ما جاء في الروايات تشتكي إلى خالقها ظلم الإنسان لها، فجاءت الأحاديث الشريفة

لتؤكد حسن معاملة الحيوانات، ولا سيما الأليفة منها، فعن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) أنه قال: "قال رسول الله (ص): للدابة على صاحبها خصال ست، يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به، ولا يضرب وجهها، فإنها تسبّح بحمد ربها، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق".

وكان لقمان الحكيم يوصي ابنه إذا أراد السفر قائلاً: "...وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك، وابدأ بعلفها قبل نفسك، فإنها نفسك".

صحيح أن هذه الحيوانات سخّرها الله تعالى للإنسان، ولكن هذا لا يعني أن يظلمها أو يسيء معاملتها. وتكشف لنا سيرة الرسول (ص) وأهل بيته الأطهار (ع) كيف أنهم حرصوا أشد الحرص على معاملة الدواب معاملة بمنتهى الإحسان والإشفاق، فقد روي أن النبي (ص) أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال: "أين صاحبها؟ مروه فليستعد للخصومة".

ويستفاد من الروايات كراهية استعمال الدواب لغير الضرورة، فعن أبي عبد الله (ع) أنه قال: "قال رسول الله (ص): لا تتوركوها على الدواب، ولا تتخذوا دوابكم منابر، فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأفسس، وجعل لكم في الأرض مستقراً، فاقضوا عليها حاجاتكم".

وعن أبي عبد الله (ع) أنه قال: "إذا ركب العبد الدابة، قالت: اللهم اجعله بي رحيماً". أما الروايات في النهي عن ضرب الدواب فكثيرة، نذكر منها على سبيل المثال: قال رسول الله (ص): "لا تضربوا الدواب على وجوهها فإنها تسبّح بحمد الله"، كما نهاهم (ص) عن ضربها إذا تعثرت.

ويروى عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) أنه حجّ على ناقة أربعين حجّة فما قرعها بسوط، وعندما ماتت أمر بدفنها لئلا تأكلها السباع. وكان من العادة في زمن الرسول (ص) وسم البهائم، فنهاهم (ص) عن وسمها في وجوهها لما يلحقها من ألم وأذى.

يروى أنه (ص) مرّ بحمار قد وسم في وجهه، فقال: "أما بلغكم أنني لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها". فكان (ص) وأهل بيته الأطهار (ع) يلتفتون إلى أصغر تصرف يصدر من الإنسان باتجاه الحيوان، ونظرة في الأحاديث الكثيرة الواردة عنهم حول حقوق الدواب والرفق بالحيوانات، تدلنا على كمال أخلاقهم ووعيهم التام في التصرف بعناصر بيئتهم، إذ لازمهم الموعظة بالقول والعمل، فكانوا رحمة للعالمين.

يروى أن رسول الله (ص) قال لامرأة: "مري بنيك يقلّموا أظفارهم أن يوجعوا الضروع"، أي لئلا يوجعوا إذا حلبوها بأظفارهم الطويلة، وفي حديث آخر: "مري بنيك لا يعبطوا ضروع الغنم" أي لا يشددوا الحلب فيعقروها ويدموها بالعصر، أو لا يستقصوا حلبها حتى يخرج الدم بعد اللبن.

فهذه الحيوانات مخلوقات ضعيفة، تحس وتتألم، وعلى عاتق الإنسان يقع حسن معاملتها والرفق بها.